المحاضرة رقم04: الإحتلال الفرنسي للجزائر

الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 و توقيع معاهدة الاستسلام

1. أسباب الحملة الفرنسية:

أ- الأسباب الدينية :

ان الصراع الذي كان قائما بين الدول النصرانية و الدولة العثمانية قد انعكس على الجزائر، لأن قوة الاسطول الجزائري يعتبر في نظر الدول النصرانية امتدادا للأسطول العثماني الذي كان يسيطر لقرون على البحر الابيض المتوسط، و قد ورد في تقرير وزير الحربية الفرنسي "كليرمونت تونير" الذي رفعه الى مجلس الوزراء في 14 اكتوبر 1827 انها حرب صليبية هيأتها العناية الالهية لينفذها الملك الفرنسي الذي اختاره الله ليثأر من اعداء الدين و الانسانية... المسلمين"، كما ذكر انه " ربما يكون من حظنا ان نمدنهم مع الوقت و ذلك بجعلهم مسيحيين."

كما ان بابا الفاتيكان قام بتقديم مساعدة للحملة الفرنسية على الجزائر تمثلت في تدعيم الجيش ب 200 فارس، في حين انا كاتب البابا الكاردينال "الباني" تحدث علنا عن تصور البابا "بي الثامن" بخصوص الاستيلاء على الايالة فقال ان "الاب الروحي للمؤمنين مسرور جدا من النتائج التي تحققت من خلال عملية الغزو، و التي ستكون لها فوائد كثيرة على الامم الكاثوليكية."

أما خليفته "غريغوار السادس عشر" قال "لقد تم بعث الكنيسة الافريقية في موطن سان اوغستين."

ب- الأسباب الاقتصادية:

لقد كان حرص فرنسا على احتلال الجزائر للسيطرة على كنز الايالة، و ذكر الصحفي "بيار بيان" في كتابه "**سطو على مدينة الجزائر**" ان قيمة الكنز الذي استحوذت عليه فرنسا بعد نجاحها في احتلال الجزائر هو 48 مليون فرنك من الذهب و الفضة، بينما بلغت القيمة النقدية 250 مليون فرنك، هذه السرقة المالية غير معترف بها رسميا ساهمت في تعويض تكاليف الغزو، كما استفاد منها الملك "لويس فيليب" خليفة "شارل العاشر" و كبار قادة الجيش ملاك البنوك و الصناعيين الذين بدورهم كانوا يبحثون على اسواق جديدة و مواد اولية ضرورية لهم.

كما ان فرنسا باحتلالها للجزائر أرادت التملص من الديون الخارجية التي تفاقمت ازمتها و التي تجاوزت 20 مليون فرنك.

ج- الأسباب السياسية:

أراد الملك الفرنسي "شارل العاشر" بعث الحكم الملكي المطلق من جديد، و لهذا وجد معارضة شديدة من الجمهوريين فاراد اسكات هذه المعارضة السياسية عن طريق احراز انتصارات عسكرية في الجزائر، كما أراد صرف أنظار الراي العام الداخلي الفرنسي إشغالهم بالحملة التي كانت أيضا فرصة لإبعاد الضباط المعارضين له بإشراكهم في الحملة و بالتالي التخلص منهم.

من جهة اخرى أرادت فرنسا تعويض مستعمراتها التي فقدتها في الهند أمريكا الشمالية إثر حربها مع بريطانيا سنوات 1756-1763.

د- الأسباب العسكرية:

أرادت فرنسا رد الاعتبار لجيشها الذي مني بهزائم متتالية بداية من القرن 19م، بداية من فشل الحملة الفرنسية على مصر 1798-1801 إلى "هزيمة نابليون بونابرت" في معركة "واترلو" في 18 جوان 1815 ضد التحالف الاوروبي.

هـ – ذريعة حادثة المروحة:

لقد جرت العادة أن تقوم قناصـــل الدول الاوروبية المعتمدين في الجزائر بزيارة تهنئة للداي بمناسبة عيد الفطر، و بما أنه كانت هناك حساسية بين القنصل الفرنسي و القنصل البريطاني، قرر الداي "حسين باشا" أن يستقبل القنصل البريطاني صبيحة العيد و القنصل الفرنسي عشية العيد و كان ذلك يوم 30 أفريل 1827 و بحضور جميع أعضاء الديوان، دار حديث بين "بيار دوفال" القنصل الفرنسي و "حسين باشا". فسأله هذا الاخير عن السبب في عدم رد الملك الفرنسي على رسائله التي طلب منه فيها تسديد الديون المتراكمة على فرنسا، فكان رد القنصـــل بأنه ليس من العادة أن يخاطب الملك من هو أدنى منه، و قد أفضـــى هذا الحوار الى المشـــاتمة بينهما، و يذكر "أحمد الجزائري" في رســـالته الموســـومة "كيف دخل الفرنسيون الجزائر" أن القنصل الفرنسي مد يده الى سيفه ليضرب الداي فهم الداي بقتله لولا أن نائبه توسط بينها و منعه من ذلك. و اكتفى بضربه بمروحته و طرده من المجلس.

القنصل الفرنسي لم يفوت هذه الفرصة و راسل حكومته يخبرها بما جرى بينه و بين الداي، فما كان من فرنسا بعد شهر نصف من الحادثة إلا أن أرسلت خمس سفن رست بميناء الجزائر بتاريخ 12 جوان 1827 تحت قيادة القبطان "كولي" و طلب من الداي أن يأتي شـخصـيا الى السفينة و يعتذر للقنصل "دوفال" لكن الداي رفض، و في 14 جوان تقدم "كولي" للداي برسالة

الى الداي حسين تضمنت:

* أن يذهب الداي بنفسه الى مقر القنصلية الفرنسية و يقدم اعتذارا رسميا للقنصل.

* أن يرسل وفدا رسميا برئاسة وزير حربيته الى السفينة الملكية ليقدم الاعتذار.

* أن يرفرف العلم الفرنسي على كل حصون مدينة الجزائر و تطلق مئة طلقة مدفعية لتحيته.

و حددت 24 ساعة لقبول هذه الشروط.

و كان طبيعيا أن يكون رد الداي بالرفض، لهذا قررت فرنسا قطع علاقاتها مع الجزائر و ضربت حصارا بحريا دام ثلاثة سنوات و انتهى بالحملة الفرنسية سنة 1830.

2. سير الحملة الفرنسية على الجزائر:

في أفريل 1830 تجمعت قوات الحملة في ميناء طولون و كانت تتكون من ثلاثة فرق عسكرية تتألف من 37.507 جندي و 4512 حصانا و 500 سفينة متنوعة الأحجام و المهام منها 103 قطعة حربية مقسمة الى ثلاثة أساطيل و كل فرقة يقودها جنرال و كلها تحت قيادة "لويس اوغست فكتور دو بورمون" ، و في 25 ماي 1830 انطلقت الحملة باتجاه الجزائر، و في 30 ماي اصبح الأسطول مرئيا من شواطئ الجزائر لكن سوء الاحوال الجوية جعل الاميرال "دوبيري" يأمر بالتراجع إلى مايوركة بقي بها الى غاية 10 جوان.

و ما أن حل 12 جوان 1830 حتى وصلت الحملة قبالة السواحل الجزائرية مرة ثانية، و ما بين 14-16 جوان 1830 تم إنزال القوات الفرنسية في سيدي فرج غرب العاصمة حيث الاستحكامات الدفاعية هناك ضعيفة.

كانت أول مواجهة عسكرية بين الجيش الجزائري و الفرنسي هي معركة اسطاوالي في 19 جوان 1830، كان تعداد الجيش الجزائري 6000 مقاتل هذا بالإضافة الى المساعدات التي تلقاها الداي من باي قسنطينة "أحمد باي" الذي ذكر في مذكراته أنه كان في مدينة الجزائر لأداء الدنوش للباشا و معه حوالي 400 فارس، كما كان حاضرا باي التيطري "مصطفى

بومزراق" الذي كان معه 1000 فارس في حين ان باي بايلك الغرب ناب عنه نائبه. و كان على رأس هذه القوات صـــهر الداي "ابراهيم اغا" الذي قال عنه حمدان بن عثمان خوجة في مذكراته انه لم يكن قائدا ممتازا في يوم من الأيام، و لم يكن يعرف الشـــيء الكثير من التكتيك العسكري، و في موضع اخر وصفه بأنه "رجل لا منطق له و لا كفاءة."

انتهت معركة اسـطاوالي بهزيمة الجيش الجزائري و فرار "ابراهيم اغا" تاركا خلفه الجيش بدون قائد. حينها تقدم الجيش الفرنسي و استولى على الخط الدفاعي الاول "برج مولاي حسن"، و نتيجة لذلك جمع الداي "حسـين باشـا" امناء البلاد و وجهائها و رجال القضـاء و شـرح لهم الحالة الخطيرة التي آلت اليها مدينة الجزائر، ثم طلب منهم ان يبدوا نصـــائحهم من اجل ايجاد وسيلة مفيدة لمعالجة الضـرر، و اقترح الداي "حسين" على الحضـور أمرين اما مواصـلة القتال او تسليم المدينة بعد ابرام معاهدة مع الفرنسيين، و بعد عدة مشاورات و أخذ و رد اتفق الجميع على تسـليم المدينة، في يوم 04 جويلية أرسـل الداي كاتبه مرفوقا بالقنصـل البريطاني كرسـول صلح و "أحمد بوضربة" و "الحاج حسن" كمترجمين لانهما يحسنان اللغة الفرنسية للتفاوض مع القائد العام للحملة. و في اليوم الموالي وقع الداي "حسـين" على معاهدة الاسـتسـلام مع الكونت "دوبرمون"، و جاءت في خمسة بنود أهم ما جاء فيها تسليم قلاع و حصون المدين للفرنسيين، و تعهد القائد الفرنسـي بترك الاموال الخاصـة بالداي مع ترك له الحرية المطلقة في الرحيل مع أسرته. كما يتمتع جنود الانكشارية بنفس الحقوق و الحماية الممنوحة للداي "حسين"، و في البند الاخير تعهدت فرنسا بحماية أملاك الأهالي و معتقداتهم و تقاليدهم.

و في 10 جويلية غادر الداي "حسـين" في إحدى السـفن الفرنسـية الى نابولي حسـب رغبته و منها توجه الى ليفورن ثم فرنسا ليستقر في النهاية في مصـر حيث توفي سنة 1838. اما الجنود الانكشاريين فقد غادروا الجزائر الى الاناضول يوم 11 جويلية.

ANNÉE 1830.

COMMAND^t, DU LIEUTENANT-GÉNÉRAL BOURMONT (1).—JUILLET.

5 *Juillet* 1830. — *Convention entre le général en chef de l'Armée française et Son Altesse le dey d'Alger.*

Le fort de la Casbah, tous les autres forts qui dépendent d'Alger, et le port de cette ville, seront remis aux troupes françaises ce matin, à dix heures (heure française).

Le général en chef de l'Armée française s'engage envers Son Altesse le dey d'Alger à lui laisser sa liberté et la possession de toutes ses richesses personnelles.

Le dey sera libre de se retirer avec sa famille et ses richesses particulières dans le lieu qu'il fixera ; et tant qu'il restera à Alger, il y sera, lui et sa famille, sous la protection du général en chef de l'Armée française. Une garde garantira la sûreté de sa personne et celle de sa famille.

Le général en chef assure à tous les soldats de la milice les mêmes avantages et la même protection.

L'exercice de la religion mahométane restera libre. La liberté des habitants de toutes les classes, leur religion, leurs propriétés, leur commerce et leur industrie, ne recevront aucune atteinte. Leurs femmes seront respectées.

Le général en chef en prend l'engagement sur l'honneur.

L'échange de cette convention sera fait avant dix heures, ce matin, et les troupes françaises entreront aussitôt après dans la Casbah, et successivement dans tous les forts de la ville et de la marine.

Au camp devant Alger, le 5 juillet 1830.

HUSSEIN PACHA (2). Cte de BOURMONT.

في 05 جويلية 1830

معاهدة بين الجنرال قائد القوات الفرنسية و الداي الجزائر

1- يسلم حصن القصبة وجميع الحصون لأخرى التابعة للجزائر وكذلك ميناء هذه المدينة إلى الجيوش الفرنسية هذا الصباح على الساعة العاشرة حسب توقيت فرنسا.

2- يتعهد قائد جنرالات الجيش الفرنسي بأنه يترك لسمو داي الجزائر حريته وكذا جميع ثرواته الشخصية.

3- الداي حر في الانسحاب مع أسرته وثرواته الخاصة إلى المكان الذي يعينه وسيكون هو وكامل أفراد أسرته تحت حماية قائد جنرالات الجيش الفرنسي وذلك طيلة المدة التي يبقاها في الجزائر وستقوم فرقة من الحرس بالسهر على أمنه وأمن أسرته.

4- يضمن قائد الجنرالات نفس المزايا ونفس الحماية لجميع جنود الميليشيا

5- تبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة كما أنه لن يقع أي اعتداء على حرية السكان من جميع الطبقات ولا على دينهم وأملاكهم وتجارتهم وصناعتهم ونسائهم.

إن قائد الجنرالات يتعهد بشرفه على تنفيذ كل ذلك وإن تباد لهذه الاتفاقية سيتم قبل الساعة العاشرة من هذا الصباح وبعد ذلك مباشرة تدخل الجيوش الفرنسية إلى القصبة ثم إلى جميع حصون المدينة.

الجزائر: يوم 5 جويلية 1830

إمضاء : كونت دي بورمونت
خاتم حسين باشا داي الجزائر

نص الرسالة بالعربية